ما تمليه ضرورات المصلحة. وعلى هذه الخلفية، يبدو مجرد المطالبة بالغاء اتفاق عمان، وبالتالي تجاهل عمان والاردن، على غرار «مالطا يوك»، دون اقتراح بدائل، تصرفاً ساذجاً.

نهاية مرحلة

لا حاجة الى التنويه بان القوى المهجرية الفلسطينية «المتنفذة» (على حد تعبير اجهزة اعلام احدى الجبيهات) تعي مجمل الاوضاع الحرجة المحيطة بالقضية الفلسطينية، وتدرك ايضاً مدى العقلانية والشجاعة والمرونة المطلوبة للتعامل معها، وهو ما يتعارض مع «الاسس» التي يستند اليها نظام وحدة الشلل الوطنية. واذا كان الحال كذلك، فليس هنالك الا تفسير واحد للمواقف المهجرية الرافضة المتزمتة، وان كانت مصبوغة بالاستيسار وتعرض كأنها «تقدمية»، في محاولة اعادة الساعة الى وراء والتشبث باساليب قديمة بالية، قادت في حينه الى اكثر من كارثة، خدمة لمصالح تنظيمية وشخصية ضيقة. بل ان هنالك، في مجمل تصرفات تلك القوى وممارساتها ومواقفها، ومعها العديد من «الشخصيات» والافراد، ما يدفع الى استنتاج اخطر من ذلك، وهو انها، في قرارة نفسها، غير قابلة، حقيقة، بأي تغيير طرأ على المواقف السياسية الفلسطينية، اذ تعتبر ذلك «استسلاماً»، ولا تريد حلاً للقضية الفلسطينية، وليست معنية بأي حل، وترى في اي تغيير متوقع خطر المس بمصالحها، وتبذل كل ما في وسعها للعودة الى ايام «العز» السابقة، حيث كانت، رغم قزميتها، تصدر «المراسيم» وتضع العصي في الدواليب، وتصول وتجول. وبالنسبة الى هؤلاء المهجريين ليست منظمة التحرير الفلسطينية، «الممثل الشرعي الوحيد»، الا اطاراً يساعد على استمرار حياة اللجوء؛ ومن هنا المعارضة الدائمة، أواضحة كانت ام خفية، لأي مشروع حل، والحنين للعودة الى الماضي.

والعودة الى الماضي باتت، على كل حال، شبه مستحيلة. فلقد تغيّرت الظروف وتبدلت المعطيات بشكل لا يمكن تجاهله، ونشأ واقع جديد يدفع، بالضرورة، نحو تبني اساليب جديدة، من جهة، ويضع حداً لممارسات قديمة، من جهة أخرى.

ولعل ابرز ملامح هذا الوضع الجديد هي، اولاً، نهاية ما يمكن تسميته الاسلوب الدمشقي في العمل الفلسطيني، أي ذلك الاسلوب الاستعراضي «الوطنجي» المزايد، غوغائي النهج، ثقيل الظل وخفيف العقل، الذي حتى في طرحه التحية على اي عاقل يثير غضبه. ولم يكن هذا الاسلوب مستنداً فقط الى «تقاليد» فلسطينية راسخة في اطلاق الكلام الكبير مرفقاً بالاعمال الصغيرة، بل انه «تطعم» ايضاً بـ «نكهة» دمشقية غير محببة المذاق. ولم يصل هذا الاسلوب الى نهايته، على كل حال، نتيجة لبركة عقلانية حلت فجأة على اكتاف «المتنفذين» الفلسطينيين، بل لان اصحاب ذلك الاسلوب، الذين منحوه ايضاً اسمهم، «تخنوها». فنظام السيد الرئيس الاسد لم يكتف بالمحاولات المستمرة لتطويع المقاومة واحتوائها والهيمنة عليها، بل سعى جاهداً، بمساعدة زبانيته و «وكلائه» على الساحة الفلسطينية، الى الغاء اي دور لها وجعلها بمثابة تابع لنظامه، مسلوب الارادة تماماً، وكأنها أحد اجهزة مخابراته المتعددة. ولما فشل في ذلك، لم يتورع من شن حرب عليها، لا تقل خسّة عن تلك التي شنها الصهيوني شارون، وبصورة بدا معها كأن الفروق بين الشخصين تكاد لا تذكر. وكان ما كان من تشتت، على ما تبعه من ألم ودروس مريرة. والاعتقاد انه بالامكان القفز عن هذه التجارب والعودة الى